



آليات توظيف الحيوان ودلالته الرمزية في الهجاء عند شعراء الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام

د. شمس الإسلام حالو*

الملخص

يتناول البحث قضية لافتة ظهرت عند شعراء الدعوة في صدر الإسلام، وهي توظيف الحيوان في شعر الهجاء في أثناء معاركهم اللسانية مع المشركين وأحلافهم. وهي ظاهرة مهمة تستوجب الدراسة والتحليل؛ فقد حمل بعض الحيوانات بعداً رمزياً ودلالات خاصة تنم عن نظرة الشاعر إلى خصومه، وتعكس البعد النفسي والاجتماعي في الخطاب الشعري، وتكشف عن براعته في توظيف الصورة الحيوانية والإفادة من البيئة العربية ومخزونها الثقافي في بناء صورة هجائية حيّة ومعبرة. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي في تتبع تلك الصور وجمعها، والتحليلي في دراسة دلالاتها الرمزية، كما أفاد من المنهج الأسلوبى للكشف عن الآليات الفنية واللغوية التي بنيت بها، وبيان أثرها في تعزيز البنية الهجائية للنص.

وقد أظهرت الدراسة أن شعراء الدعوة وظّفوا آليات أسلوبية عديدة لتعزيز قوة الهجاء وتأثيره من خلال الرمز الحيواني ودلالاته المتنوعة، مثل: القسم، والنفي والتوكيد والشرط والاستفهام، كما تكاملت هذه الأساليب مع الأساليب البلاغية الشعرية، كالسخرية والاستهزاء، والتهكم، والتهديد والوعيد، والتشبيه، والاستعارة، ما مكّن الشعراء من إيصال رسالتهم الهجائية وبناء الانطباعات الشعورية لدى المتلقي بأسلوب مقنع ومؤثر.

الكلمات المفتاحية: توظيف، الهجاء، الدلالة الرمزية، شعراء الدعوة، صدر الإسلام.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وأدائها، الجامعة القاسمية - الشارقة. chalou@alqasimia.ac.ae

1-المقدمة:

مما لا شك فيه أن تحولاً جذرياً أصاب مظاهر عديدة للحياة العربية بمجيء الإسلام، وأن كثيراً من القيم والمبادئ السائدة في العصر الجاهلي قد تغيرت مفهوماً واختلفت قيمتها في صدر الإسلام، وقد أخذ الشعر دوراً محورياً في التعبير عن هذا الواقع الجديد، ولا سيما في الدفاع عن العقيدة الجديدة ونشر مبادئها، وفي التصدي للمعارضين لها، ومواجهتهم والرد عليهم. وهكذا برز الهجاء كأحد أهم الأغراض الشعرية المتجددة والمستخدمة بفاعلية في الدفاع عن الدين الإسلامي، وكشف عن تحول جديد في العقلية العربية والاتجاه الفكري للعرب، فبدلاً من الدفاع عن النفس والقبيلة، أصبح الانتماء للإسلام، وسُخر الشعر لخدمته وتحقيق مبادئه وقيمه، فكان الهجاء سلاحاً أدبياً استخدمه شعراء الدعوة في مقارعة الخصوم من المشركين والمنافقين ومن تحالف معهم، وفضح عيوبهم ومخازيهم وكشف ضلالهم وكفرهم وسوء أفعالهم، ولم يألُ شعراء الدعوة الذين نذروا إبداعهم للدفاع عن عقيدتهم ورسولهم جهداً في حشد كل أدواتهم اللغوية والبلاغية والفنية للرد على خصوم الدين وهجائهم ودحرهم وإيلاهم، والتعبير في الوقت نفسه عن صدق إيمانهم، وثبات موقفهم.

وكان من بين هذه الأدوات الفعالة المؤثرة واللافتة للنظر، توظيفهم للحيوانات وصفاتها وخصائصها في هجائهم لخصومهم من المشركين ومن انضم إليهم؛ مستندين في ذلك على الموروث الثقافي للذاكرة الجمعية العربية وما تحمله من دلالات ورموز مرتبطة بالحيوانات التي كثر ذكرها في الشعر العربي عامة؛ فالأسد يرمز للقوة والشجاعة والافتراس، والثعلب يدل على المكر والخداع، والكلب يرمز إلى الوفاء، والحصان يرمز إلى الكسل والبلادة والغباء، والقرود لانحطاط الأخلاق والتقليد الأعى، والحية للذكاء والتقلب والتبدل...

وقد استثمر شعراء الدعوة الإسلامية المعروفون (حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة) هذه الحيوانات في هجاء خصومهم من المشركين في رموز ودلالات عدة وأساليب متنوعة، بعضها كان يهدف إلى إظهار ضلالهم وكفرهم وتآليب الناس ضدهم، وبعضها للرد عليهم والثأر للمسلمين ونبيهم، وبعضها للكشف عن ضعفهم وتخاذلهم، وبعضها الآخر لتهديدهم

ووعيدهم وبثّ الرعب في نفوسهم وإظهار التفوق عليهم، وبعضها للاستهزاء والسخرية والاستخفاف بهم أمام المجتمع.

2- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الوقوف عند آليات توظيف شعراء الدعوة الإسلامية للحيوان في شعر الهجاء والكشف عن الدلالات والرموز التي تكمن وراء ذلك في عصر صدر الإسلام، وكيف استطاع الشعراء استثمار خصائصها الفيزيولوجية والسلوكية في موضوع الهجاء، وما الأساليب البلاغية والفنية التي اعتمدها الشعراء للوصول إلى غاياتهم ومقاصدهم.

3- أهمية البحث:

إنّ أهمية هذا البحث لا تكمن فقط في الكشف عن توظيف الحيوان في شعر الدعوة الإسلامية والوقوف على دلالاته ورموزه، وفي دراسة الجانب الفني والإبداعي في شعر أولئك الشعراء، بل إضافة إلى ذلك يلقي البحث الضوء على الأبعاد الثقافية والاجتماعية للصراع الفكري والعقائدي الذي شهده عصر صدر الإسلام، وكيف استثمر شعراء الدعوة لغة مجتمعهم وثقافته لخدمة دينهم ونصرة نبيهم وقضيتهم؟ كما يسعى إلى استقصاء تلك الحيوانات في هذا الشعر ويعمل على تحليله وتوضيح دلالتها فيه ورمزيتها وبعدها المعنوي.

4- إشكالية البحث:

على الرغم من أن شعراء الدعوة الإسلامية استخدموا الرمز الحيواني في هجائهم للمشركين ومؤيديهم، فإن الدراسات السابقة لم تتناول أنماط هذا التوظيف ودلالاته الفنية والبلاغية بشكل منهجي وشامل في شعرهم، ومن هنا تنشأ الحاجة إلى دراسة كيفية توظيف شعراء الدعوة للحيوان في الهجاء والوقوف على دلالاته الرمزية وأساليبه الفنية والبلاغية في صدر الإسلام.

5- تساؤلات البحث:

يسعى البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- 1- ما الحيوانات التي وظّفها شعراء الدعوة الإسلامية في هجائهم للمشركين ومؤيديهم، وما دلالتها الرمزية؟
- 2- كيف استثمر شعراء الدعوة الخصائص الفيزيولوجية والسلوكية لهذه الحيوانات في بناء الهجاء؟

3- ما الأدوات الفنية والأساليب اللغوية والبلاغية التي اعتمدها الشعراء لتحقيق أهدافهم الدعوية والهجائية؟

6- منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي في تتبع صور توظيف الحيوان في الهجاء عند شعراء الدعوة وجمعها، ثم المنهج التحليلي في دراسة دلالتها الرمزية، ثم أفاد من المنهج الأسلوبي للكشف عن الآليات الفنية واللغوية التي بنيت بها هذه الصور الحيوانية في النص الشعري، وبيان أثرها في تعزيز البنية الهجائية للنص.

أولاً- الإطار النظري

1- أهمية الحيوان عند العرب ودلالاته الرمزية في الثقافة العربية:

مما لا شك فيه أن للحيوان أهمية كبيرة في حياة العرب منذ الجاهلية، إذ كان شريكاً أساسياً في معيشتهم في تلك الصحراء القاسية الشحيحة في مواردها والغنية بمصاعبها ومصائبها، فكان بعض من تلك الحيوانات سنداً لهم في حروبهم وغزواتهم، وأسفارهم وتنقلاتهم، وكان بعضها الآخر مصدراً مهماً لغذائهم وكسائهم، فاهتموا بها واعتنوا بتربيتها وأمنوا لها الغذاء والماء والدواء، وكانوا يتنقلون من مكان لآخر بحثاً عن قوتها وقوتهم، ولم يقف الأمر عند حضورها في حياتهم اليومية، بل تجاوز ذلك إلى تمجيد بعضها وتخليد صفاته في شعرهم، وامتزجت مشاعرهم نحو بعض الحيوانات بالإعجاب والحب والفخر، فكانت رمزاً لكثير من القيم العربية التي تعدُّ مدعاة لاعتزاز العربي كالشجاعة والوفاء والصبر، واستخدمت أوصافها في ضرب الأمثال وتصوير المواقف، واستطاع الشعر العربي القديم أن يكشف تلك العلاقة الوثيقة بين الإنسان والحيوان، وهذا ما نجده في الشعر الجاهلي الذي يزخر بوصف الحصان الذي احتلَّ مكانة سامية عندهم، فكان عنواناً للشجاعة والبطولة والعزة والكرامة،⁽¹⁾ وارتبطوا فيه ارتباطاً نفسياً عميقاً فصوروه أجمل تصوير، حتى إن بعضهم أضفى عليه صفات البشر من المشاعر والأحاسيس كعنترة بن شداد الذي كشفت أبياته في المعلقة عن الارتباط الوثيق مع حصانه وعن محبته له وإحساسه بآلامه وأوجاعه. وامرؤ القيس الذي تناول وصف كل جزء فيه وخاصة في المعلقة وصفاً ينمُّ عن إعجابه به وتقديره له.

كما كان للإبل قيمة كبيرة عندهم، لارتباطها بحياة البادية والتنقل؛ فغدت رمزاً للصبر وتحمل المشاق، فتحدثوا عن رحلتهم معها إلى الممدوح حتى إنهم جعلوا ذلك من أساسيات موضوع المديح،⁽²⁾ وكان امتلاك هذه الحيوانات دلالة على ثراء صاحبها، فيرفع من شأنه في المجتمع القبلي، فهي قوة اقتصادية مآلكها وللقبيلة.⁽³⁾

ولم يغفل الشعراء عن ذكر حيوانات أخرى رمزت للعزة والفخر كالصقر وما يمثله من شموخ وحدة بصر، والكلب الذي كان رمزاً للوفاء والحماية.⁽⁴⁾ في حين كانت بعض حيوانات الصحراء مصدر رعب وخوف لهم فتحاشوها وابتعدوا عنها، كوحوش الصحراء المفترسة من ذئاب وضباع وأفاع وعقارب وحشرات سامة وغيرها، ومع ذلك وصفوها في شعرهم ووظفوا صفاتها رمزياً في أغراضهم وموضوعاتهم، فرمزوا بها للغدر والخيانة والغباء والدناءة واللؤم والذل وغيرها.

وقد عكس الشعر العربي القديم تلك العلاقة الوثيقة بين الإنسان والحيوان في حياة العرب الأولى بكل وجوها وقد عبّر الشعراء عن صفات هذه الحيوانات بأساليب بلاغية متنوعة، ووصفوا بعضها وصفاً دقيقاً يكشف عن إعجابهم بها ويظهر عمق العلاقة بينها وبين الإنسان العربي، وتبرز مكانتها المرموقة في المخيلة الشعرية والثقافة العربية الأصيلة.

فالحيوان لم يكن مجرد كائن حيّ وحسب في حياة العرب، بل كان جزءاً من عالمه المعنوي أيضاً، وقد انعكس ذلك في حضوره المؤثر والثري في الشعر العربي.

1- حضور الحيوان ودلالته الرمزية في شعر الهجاء الجاهلي:

شهد الهجاء في العصر الجاهلي حضوراً بارزاً للحيوان، فقد استخدم الشعراء الحيوانات كأداة بلاغية قوية التعبير في رمي المهجو وشتمه والسخرية منه، وفي سلبه ما يعتز به وما يفتخر فيه من الفضائل، سواء أكان المهجو فرداً أم قبيلة برمتها، مستفيدين من خصائص تلك الحيوانات وسلوكياتها لتأكيد المعنى وإيصال الرسالة للمتلقي بوضوح. فكان هذا الهجاء سلاحاً للشاعر وقبيلته يدافع فيه عن نفسه وعن شرف القبيلة وسمعتها ومكانتها ويردّ عنها الإهانة، وهو صورة عن العصبية القبلية والانتماء الراسخ للقبيلة في مواجهة الخصوم والمنافسين.

كما يبرز هذا الحضور في اعتماد الشاعر على الحيوانات كرموز تعبر عن معان مجردة مستفيداً من الشبه بين طباعها وبين سمات المهجو، وهو ما يؤديه الرمز الذي يعتمد على شيء

حسي معتبر كإشارة إلى شيء لا يقع تحت الحواس، وهذا الاعتبار قائم على وجود مشابهة بين شيئين أحست بها مخيلة الرامز.⁽⁵⁾

ومن أمثلة توظيف الحيوان في شعر الهجاء الجاهلي قول عمرو بن معدي كرب يهجو قبيلة جرم ونهد مشبهاً وجوه جرم بوجوه الكلاب عندما تتنازع وتتهيا للقتال وينتفش شعرها:⁽⁶⁾

لحا الله جرماً كلما ذرَّ شارقٌ وجوه كلابٍ هارشتُ فازبأرت
فلم تُغنِ جِرمٌ نهداً إذ تلاقنا ولكن جِرمًا في اللقاء ابذعرت
ومن ذلك أيضاً قول الأفوه الأودي مشبهاً هروب أعدائه بهروب النعام:⁽⁷⁾

وطاروا كالنعام يبطن قوٍ مواءلةً على حذر الرقيب
ومن تلك الأمثلة ما جاء في شعر بشر بن أبي خازم الأسدي مشبهاً بعض أعدائه بالحمار في إدعائهم لهم وشدة خوفهم وجبنهم، وآخرين منهم شبههم بالتيوس الهاربة:⁽⁸⁾

وقد صمزت بجريتها سليماً مخافتنا كما صمزت الجمارُ
وأما أشجعُ الخنثى فولتُ تيوساً بالشظي لهم يُعارُ⁽⁹⁾

وفي شعر لثعلبة بن عمرو بن الغوث، نجده يوظف الجراد في هجاء الأبيرد الغساني، فيشبهه فمه عندما يضحك برؤوس الجراد المتطايرة في حفرة النار، فيقول:⁽¹⁰⁾

كأن ثناياه إذا افتتر ضاحكاً رؤوس جرادٍ في إرين تحسحس⁽¹¹⁾

ومن الأمثلة المشهورة أيضاً قول طرفة بن العبد يهجو عمرو بن هند موظفاً النعجة في هجائه:⁽¹²⁾

فليت لنا مكان المليك عمرو رغوئاً حول قببنا تخور
من الرمرات أسبل قادمها ودرتها مركنة دزور

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً؛ فذكر الحيوان في الهجاء الجاهلي وتوظيف الشعراء له في معان رمزية كان أداة مهمة تختزل صفات المهجو وتلصق به سمات الجبن والدناءة والهوان والقبح وغيرها. وهذا يدل على أصالة الصورة الحيوانية في الشعر العربي، لا بوصفها زخرفاً أو تقليداً بل جزءاً من منظومة تعبيرية أصيلة متجذرة في وجدان الشاعر الجاهلي، تستند على مخزون بيئي وثقافي، وتعكس نظرة المجتمع عامة. وكانت مشاهد الحيوان هذه "تمثل نصيحاً فكرياً مثلما تبرز تقدماً فنياً يُسجل لأبناء العصر الجاهلي، وهم ينتقلون من الملموس إلى المجرد غالباً، ولا سيما

حين جعلوا صورة الحيوان وسيلتهم إلى ذلك فتداخلت العزة والإباء والشجاعة والجرأة والغدر والخيانة والروغان والختل... إلخ بصورة حيوانات باديتهم"⁽¹³⁾

2- الهجاء عند شعراء الدعوة الإسلامية:

مما لا شك فيه أن موضوع الهجاء شهد تحولاً جوهرياً في أهدافه ومضامينه مع بزوغ فجر الإسلام، إذ تحول الهجاء من أداة للتنافس القبلي إلى سلاح فكري ودعوي في مواجهة أعداء الدين ونصرة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد برز في صدر الإسلام جيل من الشعراء الذين عرفوا بـ "شعراء الدعوة الإسلامية" ويراد بهم خاصة شعراء ثلاثة آزروا النبي ودافعوا عنه بألسنتهم في معاركه مع المشركين الذين ألحقوا الأذى به بشعرهم وكلامهم، فوظف حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة شعرهم لمهاجمة الخصوم والرد عليهم والدفاع عن الرسالة الإسلامية وإثبات قوتها في مواجهة أعدائها، ونصرة نبيها وقائدها، متجاوزين بذلك الهجاء الذاتي والقبلي التقليدي إلى بعد عقيدتي روعي جديد، فظهرت في أشعارهم صور هجائية جديدة تعكس التبدل القيمي بين الجاهلية والإسلام، والتغيرات الاجتماعية والدينية والسياسية التي حدثت في المجتمع الإسلامي الناشئ، وتكشف عن تطور موضوعات الشعر وأسلوبه في ضوء قيم الإسلام.

ولا بد من إعطاء فكرة موجزة عن معركة الهجاء التي حمي وطيسها في صدر الإسلام بين شعراء المشركين وشعراء المسلمين، وأهم ما تميز به شعر الهجاء عند شعراء الدعوة الإسلامية، فقد بدأت معركة الهجاء بين المسلمين والمشركين مع معركة السلاح، فكان الشعر وفي مقدمته الهجاء من أبرز الأسلحة التي وظفها المسلمون للدفاع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الدين الجديد، ولا سيما في هجمات قريش الإعلامية ضد الشعراء المسلمين ونبيهم، وقد شكل هذا الصراع الأدبي ما يمكن أن يسمى بـ "معركة الهجاء" إذ أصبح البيت الشعري أداة مواجهة لا تقل عن دور السيف في يد المقاتل.

وقد أعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - الإذن لشعراء المسلمين بالرد على المشركين، فقال للأنصار: "ما يمنع القوم الذين قد نصّروا رسول الله بسلاحهم وأنفسهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها يا رسول الله، وأخذ بطرف لسانه فقال: والله ما يسرّني به مَقُول بين

بصري وصنعاء، فقال له رسول الله، - صلى الله عليه وسلم -: وكيف تهجوهم وأنا منهم؟ قال: إني أسألك منهم كما تسأل الشعرة من العجين⁽¹⁴⁾

وانبرى الشعراء الثلاثة من الأنصار يتصدون لهجاء المشركين ويردون عليهم ويجيبونهم، وهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، ويعارضونهم بمثل قولهم بالأيام والوقائع والمآثر، كما يعيرونهم بالمثالب فـ "كان ابن رَوَاحَةَ يُعَيِّرُهُم بِالْكَفْرِ وَيُنْسِبُهُمْ إِلَى الْكَفْرِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ شَيْءٌ شَرٌّ مِنَ الْكَفْرِ، قَالَ: فَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَشَدَّ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ قَوْلَ حَسَّانَ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَهْوَنَ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَفَقَّهُوا الْإِسْلَامَ كَانَ أَشَدَّ الْقَوْلِ عَلَيْهِمْ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ"⁽¹⁵⁾

وقد وجد النبي- صلى الله عليه وسلم- أن شعر حسان أكثر قوة وتأثيراً في المشركين من صاحبيه، وأنه قادر على التصدي للمشركين وتحديهم ليشفي صدور المؤمنين بهجائه: "... قَالَتْ غَائِثَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ لِحَسَّانَ "إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَخْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ". وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "هَجَاهُمْ حَسَّانٌ فَشَفَى وَاشْتَفَى"⁽¹⁶⁾ وقد سأل النبي- صلى الله عليه وسلم- حسان بن ثابت بعد أن أذن له "كيف تهجوهم وأنا منهم؟" فأجابه: "إني أسألك منهم كما تسأل الشعرة من العجين" فأذن له بالهجاء وأمره بالرجوع إلى أبي بكر لتزويده بأنسابهم وأيامهم وعيوبهم.⁽¹⁷⁾

ومما لا شك فيه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- عندما وضّح دور الأنصار والمسلمين ككل في الدفاع عن دينهم بالسلاح واللسان أيضاً إنما يؤسس لمعركة الهجاء الدفاعية عن الدين، واختيار حسان بن ثابت كأبرز من يمثل هذا الدفاع نظراً لبلاغته وحضوره الشعري وتأثير كلمته فيهم يؤكد عمق الفهم الإستراتيجي لدى النبي- صلى الله عليه وسلم- والرجوع إلى أبي بكر يدل على حرصه على الدقة المعرفية قبل الهجاء.

وهكذا أشهر هؤلاء الشعراء ألسنتهم وبذلوا ما بوسعهم لتأييد نبيهم ونصرة دينهم مستخدمين أدوات عدّة في ذلك، كان من أبرزها توظيف الحيوان وصفاته وخصائصه ودلالته الرمزية في ذلك الهجاء.

ثانياً: الدراسة التحليلية:

توظيف الحيوان ودلالته الرمزية في الهجاء عند شعراء الدعوة الإسلامية:

استمر حضور الحيوان في شعر صدر الإسلام؛ لأنه لم يكن مجرد كائن حي من وحي حياة العرب وحسب، بل كان جزءاً لا يتجزأ من عالمهم المعنوي والمادي، وقد ازداد هذا الحضور تأثيراً وعمقاً في شعر الهجاء مع حاجة المسلمين إلى ذلك في معاركهم الكلامية وحرهم المعنوية، فقد وظفوا أدوات كثيرة في معاركهم الشعرية تلك، وكان من أبرزها الحيوان الذي وجدوا في صفاته وخصائصه الفيزيولوجية سلاحاً نافذاً صوبه إلى جانب أسلحتهم الأخرى؛ ورمزوا به إلى معان ودلالات عميقة ليحققوا من خلالها أهدافهم ومقاصدهم التي تمثلت في مواجهة أعدائهم من المشركين ونصرة نبيهم والدفاع عن دينهم، فما أبرز الحيوانات التي وظفوها في هجائهم؟ وما دلالات هذه الحيوانات، وما الذي ترمز إليه؟ وما الأساليب البلاغية التي أسهمت في تحقيق أهدافهم؟

بالعودة إلى شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة نجد أن أبرز الحيوانات التي وظفها هؤلاء الشعراء في معركة الهجاء هي:

1- الإبل

للإبل مكانة عظيمة عند العرب، حتى يمكن القول إنها كانت من أهم أعمدة حياتهم الاقتصادية والمعيشية والرمزية، فقد اعتمدوا عليها في تنقلهم بين الواحات والبادي وأسفارهم التجارية، كما شكلت مصدراً مهماً لغذائهم ولا سيما حليبها ولحمها الذي يؤكل في المناسبات والأعياد والمجاعات، إلى جانب وبرها الذي يستخدم في صناعة الأثواب والخيام والأحذية، وكانت الإبل مقياس الغنى والفقر، وحق للقبيلة أن تفخر بكثرة إبلها فهي مصدر قوة وعزة لها "فلا عجب إذا سعى العربي الإبل المال أو النعم"⁽¹⁸⁾ وقد خبروا كل ما يتصل بها، فعرفوا أعضائها وتركيب أجسامها، وخصائصها، وأعمارها ووصفوا صغارها وكبارها وذكورها وإناثها، كما عرفوا أمراضها وعللها وتحاليلها بتجارهم الكثيرة المختلفة على شفائها.⁽¹⁹⁾ ولعلها الحيوان الأكثر ذكراً في شعرهم هي والخيول، فقد وصفوها بدقة ووظفوها في أغراضهم الشعرية المختلفة وخاصة المديح، ويستمر ذكرها في شعر صدر الإسلام، فيوظفها شعراء الدعوة الإسلامية في هجائهم للمشركين مستثمرين ميزاتها وخصائصها في ذلك بأساليب فنية متنوعة، من ذلك قول عبد الله بن رواحة في هجاء قريش وتهديدهم ووعيدهم:⁽²⁰⁾

فَأَقْسَمْتُ لَا تَنْفَكُ مِنَّا كَتَائِبُ سُرَاةٍ خَمِيسٍ فِي لُهَاِمِ مُسَوِّمِ

نزوعُ قُرَيْشٍ الكفرِ حَتَّى نَعْلَهَا بخاطمةٍ فوقَ الأنوفِ بميَسَمٍ

فقد استخدم الشاعر أسلوب القسم بداية للتأكيد على الثبات والقوة، كما استخدم أداة النفي (لا تنفك) لتقوية الفكرة وإظهار الحزم مع المشركين، ثم أفاد ابن رواحة من صورة مألوفة للإبل في حياة العرب، وهي مشهد سوقها في الصحراء ودفعها إلى المكان الذي يريد صاحبها أن يأخذها إليه فتستجيب له دون اعتراض طائفة، فهي صورة معهودة ومعروفة، لكن الشاعر أفاد منها في هجاء قريش بأسلوب بلاغي جميل إذ بنى صورته على الاستعارة المكنية، فشبههم بالإبل التي تساق وتشرب مرغمة، ليرمز بذلك إلى القهر والغلبة: مستخدماً الألفاظ التي تدل على المشبه به (الإبل) دون ذكره مباشرة؛ فكلمة "نزوع" تعني السوق، فقد ساقوهم كما ساقوا الإبل، ونعلها: من العل؛ وهو الشرب مرة بعد مرة، والخاطمة، من خطمه بالخطام؛ وهو حبل الناقة، والميسم: الحديدية التي توسم بها الإبل، إنها صورة الإبل وهي تساق بالحبل والميسم على أنفها إلى الشرب مرة بعد مرة وكرة بعد كرة، فهؤلاء المشركون الكافرون من قريش لن يهدأ المسلمون حتى يسوقوهم كما تساق هذه الإبل، ولكن لا لشرب الماء، وإنما ليسقوهم الذل والإهانة مراراً وتكراراً، فقد استعمل الشاعر الصورة الاستعارية هنا ليرمز إلى القهر والذل الذي أصاب المشركين من المسلمين والهوان الذي لحق بهم.

وهذه الصورة ليست ببعيدة عن صورة لحسان بن ثابت في معرض هجائه لعبد الله بن الزبير وردّه عليه يوم أحد، فقد شبه هروب المشركين منهم وتوليمهم مدبرين عن أرض المعركة، وقد حاصروهم وأجبروهم على التراجع إلى سفح الجبل بالإبل المرسله بعضها خلف بعض: (21)

إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَأْنَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ

إِذْ تُؤَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرِّسْلِ

ويلاحظ أن الشاعر لم يصفهم بالإبل مباشرة، بل بأشبه الإبل ليدلّ على ضعفهم وقلة حيلتهم وخذلانهم، حتى الإبل أفضل منهم. ويستثمر حسان الإبل في صورة أخرى للدلالة على تمزق المشركين وشتاتهم، فيقول في القصيدة نفسها:

وَتَرَكْنَا مِنْ قُرَيْشٍ جَمْعَهُمْ مِثْلَ مَا جُمِعَ فِي الْخِصْبِ الْهَمَلُ

فقد شبه حالهم في الشتات والتمزق بحال (الهمَل) وهي الإبل المهملة التي ترسل في المرعى مبعثرة دون راعٍ يقودها وينظّم سيرها، وهي صورة تحمل معنى الدّل والتشتت، فقريش لا عقل ولا هدف

ولا قيادة، ومشهدا هذا مشهد يدل على الجبن والهوان الجماعي، وهي صورة تفقدهم صفة التحكم والقيادة وتلبسهم ثوب البهائم التائهة، أضف أن حسانا ذكر أن هذه الإبل المهمة ترعى في "الخصب" وهذا يزيد من دلالة الصورة، فهم تائهون ضائعون حتى في المكان الخصب الذي يعتمه الخير، وهكذا فعلى الرغم من بساطة التعبير، إلا أنه يحمل معاني رمزية ودالة على الضعف والتشتت والضياع والفوضى وفقدان الإنسانية والقيادة.

لقد استطاع حسان بخبرته الهجائية تحويل صوره إلى رموز، فالصورة وإن كانت مجرد وسيلة مجازية لكنها إذا استخدمت عن وعي بمستوياتها الحقيقي وغير الحقيقي فإنها كما يشير إلى ذلك "أوستن وارين" و"رينيه ويليك" تتحول إلى رمز، بل وقد تغدو جزءاً من نظام رمزي أو أسطوري.⁽²²⁾

ونجد كعب بن مالك يستفيد من صورة أخرى للإبل اعتادوا على رؤيتها في حياتهم معها في الصحراء، فيقول في معرض هجاء المشركين وتهديدهم يوم أحد:⁽²³⁾
 إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَنْتِجُهَا وَعِندَنَا لِدَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ
 فقد أفاد من مشهد حلب الناقة ونتاجها، فشبه الحرب بها معتمداً الاستعارة المكنية إذ استعار بعض صفاتها ليجعل من الحرب ناقة مطواعة ومنقادة لهم متى شأؤوا جعلوها تنتج واستردوا حليها، فهم أصحاب القرار فيها لا غيرهم، وسوف يشعلونها متى أرادوا لينكّلوا بدوي الأحقاد والعداوات منهم تنكيلاً مؤلماً زاجراً لهم عما يقومون به.

وفي هجاء حسان لأبي سفيان بن الحارث نجده يوظف أموراً متعددة تتعلق بالناقة ولا يكتفي بأمر واحد ليعزّز المعنى الذي يريده ويؤكدده؛ وهو الطعن في نسب أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مستغلاً نسبه من جانب النساء لا من جانب أبيه، فأمه أم ولد، وأم أبيه أيضاً أم ولد، وكان حسان يركّز على هذا الأمر لما له من تأثير في نفوس المشركين، فالنسب ما يزال من دواعي فخرهم ورفعته، وأي طعن فيه يشوه صورتهم ويحرجهم أمام الناس، فيقول له:⁽²⁴⁾

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِيَّاكَ فِي قُرَيْشٍ كَالِ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ
 فَإِنَّكَ إِنْ تَمَتُّ إِلَى قُرَيْشٍ كَذَابِ الْبَوِّ جَائِلَةِ الْمَرَامِ
 وَأَنْتَ مَنْوُطٌ بِهِمْ هَجِيْنٌ كَمَا نِيَطُ السَّرَائِحُ بِالْخِدَامِ

فبيدأ حسان هذه الصورة الهجائية بأسلوب القسم والتوكيد لما لهما من أثر في تأكيد صدق القول وتقوية المعنى، ثم يوظف الناقة في صورته، وأول ما وظّفه فيها (السَّقْب) وهو ولدها ساعة يولد، إلى جانب (الرَّأل) وهو ابن النعامة، فيقول له إن قرابتك من قريش كقرابة ولد الناقة من ولد النعامة، أي لست منهم في النسب؛ وذلك ليضعف نسبته في قريش، ويقهره في جانب تعتدّ فيه العرب وتعتز، وما يزال يؤثر فيهم قبل أن يدخلوا الإسلام، لتصبح قيمة الإنسان بتقواه وعمله الصالح لا بنسبه وأصله. فوجد حسان هذا المطعن عليه ليفضحه بين قومه وبين من آزره من المشركين، ويتابع في تأكيد هذا الأمر من خلال صورة أخرى معهودة للجاهليين تتعلق بالناقة الثكلى التي تفقد ولدها فيستخدم مشهد (البوّ) مع الناقة، وهو جلد الحوار يحشى تبنًا أو حشيشًا لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يقرب إلى أم الفصيل لترأه فتدرّ عليه. فيقول لأبي سفيان إنك حين تنتسب إلى قريش لشبيهه بالناقة مع البوّ، ليس منها وليس من في شيء. ويضيف صورة أخرى يحوكها من مستلزمات الناقة أيضًا فيؤكد أنه هجين وليس أصيل النسب، فقد ألصق بقريش إلصاقًا مثل السرائح الملتصقة بالخدام، وهي السيور التي تشد بها الخدام، والخدام السيور الغليظة المحكمة مثل الحلقة تشد في رسغ البعير ثم تشدّ إلها السرائح، فيصنع حسان صورته المركبة من الجلد والقيود والحبال التي يشدّ بها البعير، فيصور أبا سفيان أنه تابع لقريش لا عزّة له ولا استقلال، جمع بين الهجنة (اختلاط النسب) وبين (ذل التبعية) وهذا منتهى الإهانة عند العرب.

ويؤكد حسان هذا المطعن في قصيدة أخرى يهجوها بها موظفًا أيضًا بعض ما يتعلق بالناقة، فيقول: (25)

وَمَا لَكَ فِيهِمْ مَحْتَدٌ يَعْرِفُونَهُ فِدُونَكَ فَالْصَقُّ مِثْلَ مَا لَصِقَ الْقُرْدُ
وَأَنْ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بَنِي مَخْرُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

فيشبهه التصاقه بقريش بالتصاق القُرَاد بالناقة، والقُرَاد دويبة تلصق بالإبل وتعضّها، فهو مثلها لاصق بقريش مقيم بينهم وليس منهم بنسب، مؤكدًا ذلك بأسلوب النفي "مَا لَكَ فِيهِمْ مَحْتَدٌ يَعْرِفُونَهُ" وقيمته جاءت من غيره لا من نفسه، فهي صورة تضيف بعدًا من الاستهزاء والسخرية وترمز للإهانة وتعمق من وقعها لما فيها من تقليل شأنه عند تشبيهه بهذا الحيوان الصغير المتطفل الدنيء. ثم يستخدم حسان أسلوب المقارنة والموازنة بينه وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا

سيما في نسبه الضعيف من جهة أمه فيقارنه بنسب بني بنت مخزوم وهي أم أبي طالب وعبد الله والزيير بن عبد المطلب، فأم أبي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مخزومية؛ ليظهر بهذه المقارنة التباين الطبقي (تباين النسب) بينه وبين ابن عمه رسول الله عليه الصلاة والسلام، موظفًا أعلى ظهر الناقاة في ذلك فيستعير سنامها ليرمز به إلى الشرف والمجد والمقام الرفيع لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهذه المقارنة تشعر أبا سفيان بالعار والدونية وربما تفقده اتزانه النفسي وهذا ما يرمي إليه حسان؛ إذ يشكك في جذوره وانتمائه فيلحق به الخزي الأسري والاجتماعي، مقارنة بآل هاشم (ذروة المجد) وخاصة في مجتمع المشركين الذين يقدرون الأنساب ويهتمون جدًا لأمرها. ويستثمر كعب بن مالك أيضا العَطَنَ، وهو مبرك الإبل قرب الماء، ليصف المكان الذي انتهى

إليه قتلى بدر، فيشمت بمصيرهم الذي انتهوا إليه ويغیظهم بما نزل بهم: (26).

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ: عُنْبُهُ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
وَأَبْنُ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزِيدُ
وَأُمِّيَّةُ الْجُمَحِيِّ قَوْمٌ مِثْلُهُ عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مَهْنَدُ

فقد استعار الشاعر العَطَنَ وهو مبرك الإبل حول الماء، إذ ترتوي الإبل من الماء ثم تبرك فيه، استعاره لقتلى المشركين يوم بدر، إذ وردوا هذا المورد ولكن لا ليشربوا بل ليلقوا حتفهم فيه، إذ يصبح العَطَنَ مكانا لفناء الرجال المهمين من رؤوس قريش لا موردًا للحياة والسقيا كما كان، ويصبحون جيفًا تنتن في هذا المكان المخصص للإبل، وكي تكون هذه الصورة مؤثرة في السامعين فقد لجأ الشاعر إلى أساليب عديدة منها جناس الاشتقاق في قوله "العطن المعطن" الذي أفاد في تأكيد نهايتهم في هذا المكان من جانب، وأعطى وقعًا صوتيًا وجماليًا من جانب آخر. ومن تلك الأساليب التعيين والتخصيص بالعدد والأسماء الذي يجعل المتلقي أكثر تأثرًا وتصديقًا ويجعل المشهد الهجائي أكثر وضوحًا وقوة كما يزيد من حيوية الصورة لربطها بأشخاص حقيقيين ومعروفين، فقد ذكر أن من قُتلوا من قريش سبعون وذكر من أسمائهم عتبة والأسود وابن المغيرة وأممية وهم من أشراف قريش وسادتها، واختار هذه الأسماء خاصة ليؤكد أن المصيبة أعظم بالنسبة للمشركين، وكي يذيقهم مرارة الهزيمة أكثر ويشمت بنهايتهم الذليلة والمفجعة لأصحابهم وذويهم وأنصارهم، ويظهر التفوق المعنوي والمادي للمسلمين عليهم.

وهكذا شكل توظيف الإبل ودلالاتها الرمزية في شعر الهجاء عندهم قوة وتأثيرًا لا يقل عن قيمة وجودها في بوادي العرب وحياتهم.

2- الخيل:

الخيـل من أبرز الحيوانات التي استثمرها شعراء الدعوة في هجاء المشركين، ووظفوها في معاني الهجاء المختلفة، ولا عجب في ذلك؛ فمكانة الخيل عند العرب معروفة، ولم تكن عندهم مجرد وسيلة للنقل أو القتال بل كانت رمزًا للبطولة والشرف والعزة والسيادة، وقد عرفوا أنواعها وأنسابها وسلالاتها الكريمة والهجينة، ووصفوا كل نوع منها بأوصاف خاصة وأطلقوا عليها أسماء كثيرة حسب اللون والسرعة والتحمل وحسب أصحابها "وحفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من أسماء الخيل التي كانت تمثل الأصحاب الحقيقيين لها، والتي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها"⁽²⁷⁾ ووصفوها لذاتها في شعرهم كما جاء ذكرها في معظم أغراضهم الشعرية. وتختلف الدلالات والمعاني التي يحملها الخيل في موضوع الهجاء عند شعراء الدعوة من شاعر لآخر، ومن أسلوب لآخر؛ فهي هو ذا حسان بن ثابت يوظفها في الاستهزاء والسخرية من المشركين إثر هزيمتهم يوم بدر، قائلًا:⁽²⁸⁾

نَجَى حَكِيمًا يَوْمَ بَدْرٍ شَدَّةً كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِ
لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلَاهُ بِكَيْتِبَةِ خَضْرَاءٍ مِنْ بُلْخَزَجٍ⁽²⁹⁾

فيصوّر حسان فرار حكيم بن حزام بن خويلد من معركة بدر ونجاته من الموت عندما جرى مسرعًا بسرعة مهر مذعور، وخصّ المهر بالتشبيه لأنه خفيف سريع الحركة، وهذا يدلّ على سرعته في الفرار والهرب وعدم صموده في اللقاء، ويرمز إلى جنبه واستسلامه، وهذا أكثر سخرية وتهكمًا فيه، ووصف هذا المهر بأنه من نسل الأعوج وهو فرس مشهور في الجاهلية، معروف بالنسب الكريم، وإليه تنسب الخيل الكرام؛ ليبين أنه على الرغم من نسل هذا الفرس الكريم والشريف الذي ينبغي أن يدفعه للثبات والقتال إلا أنه فرّ هاربًا، وهنا تظهر المفارقة فبدلاً من أن يكون الفرس رمزًا للفخر والعزة، أصبح رمزًا للجبن والذل! إن حسان هنا يستثمر هذه الصفات في الخيل ونسلها ليزيد من فعالية السخرية والتهكم في هجاء المشركين؛ لتأتي الصورة معبرة أكثر عن تخاذلهم وإذلالهم.

وفي صور أخرى يوظف فيها حسان بن ثابت الخيل أيضًا في هجاء بني أسد يوم بدر، ومقتل أحد رجالهم: (30)

خَابَتْ بَنُو أَسَدٍ وَأَبَ غَزِيَّتِهِمْ يَوْمَ الْقَلِيبِ بَسْوَءٌ وَفُضُوحُ
مِنْهُمْ أَبُو الْعَاصِي تَجَدَّلَ مُقْعَصًا عَنْ ظَهْرِ صَادِقَةِ النَّجَاءِ سُبُوحُ

فقد خابت بنو أسد في ذلك اليوم، وفضح أمرهم بين العرب بهزيمتهم وخسارتهم بدلًا من النصر والظفر، ولحقهم الخزي والعار أمام المسلمين، وفي طليعتهم فارسهم أبو العاصي الذي خَرَّ مقتولًا صريعًا في أرض المعركة، ولم يستطع الفرار، على الرغم من امتطائه لفرس سريعة صادقة في الهرب والنجاة، وكأنَّها تسبح في جريها لشدة سرعتها. فقد وصف حسان هنا الخيل التي كان أبو العاصي يمتطيها بأنها فرس أصيلة سريعة، ولكن مع ذلك فقد سقط عنها قتيلاً ذليلاً، ولم تنجها نجابتها من القتل ولم تسعفه سرعتها في الهرب! فبقي عاريًا عن أسباب العزة والفخر، وهذا التصوير يرمز إلى شدة الخيبة التي أصابت بني أسد، ويسقط هيبتهم أمام السامعين، وقد وقع فارسهم صريعًا عن ظهر فرسه النجبية مضرًا بدمائه!

وكثيرًا ما يوظف شعراء الدعوة الخيل في هجاء المشركين في تهديدهم ووعيدهم، وبثِّ الرعب في نفوسهم، للتأثير على الجانب النفسي عندهم، وإصابتهم بالذعر والخوف قبل القتال بالسلح، وهذا لا يقل شأنًا عن القتال بالسيف، فها هو ذا كعب بن مالك يقول في هجائه للمشركين إثر انهزامهم في بدر وفي تهديده لأبي سفيان بقاء قريب ينتصرون فيه أيضًا: (31)

فَمَا ظَفَرَتْ قَوَارِسُكُمْ بِبَدْرِ وَمَا رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
فَلَا تَعْجَلْ أَبَا سُفْيَانَ وَارْقُبْ جِيَادَ الْخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَدَاءِ

فكعب هنا يوظف الخيل في هجائه معتمدًا أسلوب التهديد والوعيد، بعد الهزيمة والخيبة الكبرى التي أصابت المشركين بخسارة فرسانهم يوم بدر، مهددًا إياهم بالاستمرار في قتالهم لإلحاق مزيد من الهزائم بهم، وقد أعدَّ المسلمون العدة لذلك النصر، وجهَّزوا الخيول السريعة الأصيلة القوية التي ستكون أداة فعالة في حربهم ونصرهم، وهي مظهر من مظاهر عزهم وفخرهم.

وهذا يذكرنا أيضًا بقصيدة حسان قبيل فتح مكة التي هجا فيها المشركين عامة وأبا سفيان بن الحارث خاصة، وكيف وظَّف الخيل في تهديد المشركين ووعيدهم فقال: (32)

عَدُّنَا خَيْلُنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تَثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءِ

يبارين الأعنة مُصْعِدَاتٍ على أكتافها الأسلُ الظَّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنَّ الخُمُرُ النَّسَاءُ

فحسان في هجائه هنا يهْدِدُ المشركين بقوة المسلمين وشجاعتهم، وقد عبّر عن ذلك بدايةً بأسلوب الدعاء "عدمنا خيلنا" ليؤكد تصميم المسلمين على هدفهم، إذ يدعو على خيلهم بالهلاك إن لم تتقدّم إلى المعركة بسرعة وشجاعة وتثير التراب في أرض القتال، حتى كأنها لسرعتها تسابق أعتّها، وقد حمل فرسانها الرماح المتعطشة لدماء المشركين. ثم يبين اهتمام النساء بها في أرض المعركة وهي تمسح عنها بخُمُرِها ما تصبّب من عرقها ودمائها. بالإضافة إلى ذلك فإن هذا المشهد البصري الحركي المعبر يرمز إلى قيمة الخيل عند العرب وتقديرهم لها.

ولم يغب عن شعر عبد الله بن رواحة في معارك الهجاء والرد على المشركين أيضاً تهديدهم بقوة المسلمين، وبما أعدّوا لهم من خيل مدربة قوية، منها قوله: (33)

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَقَرِعٍ نُغَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَيْتًا أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعَقَبَ بَعْدَ فَتْرَتِهَا جُمُومُ
فَرَحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنْفَسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّمُومُ

فقد تجهز المسلمون لقتال المشركين وأعدوا خيلاً خاصة لهذا الهدف، فقد أحضروها من أجَاٍ وفرع من بلاد طَيٍّ، واهتموا بها فأطعموها الحشيش وحذوها الصَّوَانِ، وأقامت في معان ليلتين كي ترتاح وتستعد للقتال بعد رحلتها الطويلة، ثم مضى المسلمون بخيلهم القوية السريعة تلك التي تزفر الريح الحارة من أنفها لشدة نشاطها وسرعتها للمواجهة المنتظرة، إنه تصوير يبث القلق والاضطراب في نفوس المشركين ولا شك أنه يضعف معنوياتهم وهم يتخيلون استعداد هذه الخيول وإقدامها مع فرسانها نحوهم بكل إقدام وجرأة.

وهكذا تنوعت أساليب شعراء الدعوة في توظيف الخيل وصفاتها ودلالاتها الرمزية، ولكنها أكثر ما كانت في أسلوب التهديد والوعيد، لما ترمز إليه الخيل من الشجاعة والبطولة والإقدام. فكان التهديد والوعيد من أكثر معاني الهجاء مناسبة لذكرها، ونلاحظ فيها أن الشعراء اهتموا بوصف سلوكها أكثر من وصف أجزاء جسدها ففي "موقف الحرب يجعل الشاعر عند تصوير جواده ويشغله عن تبين تفصيلات جسده، فيما يهيمه أنّذ هو سلوكه" (34).

3- الطيور والنعام:

امتلك العرب معرفة واسعة بالطيور وأنواعها وصفاتها وسلوكها فهي حولهم في كل مكان، يستفيدون منها في طعامهم ويلهون بصيدها، ويتشائمون ويتفاءلون بحركاتها وأصواتها، ولبعضها دلالات رمزية تتجاوز طبيعتها الفيزيولوجية، فالصقر يرمز عندهم للشجاعة والقدرة على التركيز والقوة الذهنية، والنسر يرمز للرفعة والشموخ، والحمام للهدوء والسكينة، والسلام والحب والحنين. وكان الشعر الجاهلي عامراً بالأبيات التي فيها ذكر للطيور، وأما عن شعراء الدعوة الإسلامية فقد تابعوا ذلك، ووظفوا الطيور في شعرهم الهجائي، فتجد حسان بن ثابت يقول في هجاء المشركين والرد على عبد الله بن الزبير يوم أحد: (35)

وَأَسْرَنَّا مِنْكُمْ أَعْدَادَهُمْ فَانصَرَفْتُمْ مِثْلَ إِفْلَاتِ الْحَجَلِ

فقد شبه انهزام المشركين وهروبهم من أرض المعركة بهروب (الحجل)، والحجل طائر في حجم الحمام، يعيش في الأماكن العالية، معروف بالخوف والفرار من الذعر بخفة وسرعة، ويطير طيراً منخفضاً محاولاً الاختباء بين الأعشاب أو الصخور، فقد ذكر ابن منظور: "سَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: قَالَتْ الْقَطَا لِلْحَجَلِ: حَجَلُ حَجَلٍ، تَفَرُّ فِي الْجَبَلِ، مِنْ خَشْيَةِ الْوَجَلِ..." (36) وفي تركيبه قوة الطيران حتى إن الإنسان، إذا لم يره يظنه حجراً خرج من مقلع (37) فصورة انهزام المشركين تشبه صورة الحجل عند هروبه بسرعة من الذعر والخوف، فعندما غلبوا وانهزموا فروا سريعاً، بلا نظام أو ترتيب، وتركوا مواقعهم مثلما يترك الحجل عشه ومكانه فجأة. وهذه الصورة ترمز إلى جبنهم وتخاذلهم، فقد هربوا هروب الجبناء الضعاف.

وهذا عبد الله بن رواحة أيضاً يوظف الطير في هجاء المشركين، فيقول: (38)

نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلْبٍ بَذَرٍ غَدَاةَ أَتَاكُمُ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ

غَدَاةَ نَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ

فقد أفاد عبد الله بن رواحة من مشهد الطير في الصحراء وهي تحوم فوق الجيف الميتة لينذل المشركين بهذه الصورة التي انتهت إليها أحد أبرز ساداتهم وأشرفهم أبو جهل الذي كان رمزاً للجبروت والكبر؛ إذ سقط صريعاً وجسده مطروح على الأرض والطير تحوم حوله لتأكل جثته، فهكذا انتهت عز الماضي ولحق به وبأتباعه ذل الحاضر، إنها صورة تعمق الإحساس بالذل

والإهانة عند المشركين وتشعرهم بالضعف والانكسار، وقد لاقى أحد أبرز أسيادهم هذه النهاية المفجعة.

ويعدُّ النعام من أبرز طيور الصحراء المعروفة التي كثر ذكرها في الشعر العربي عامة، وقد عرفها العرب عن قرب فعرفوا أسماءها وقطعانها ووصفوا صغارها وبيضها وصوتها وذكرها صفاتها المميزة كقوة حاسة الشم فقالت العرب: "أشم من نعامة"⁽³⁹⁾ وذكروا حمقها لأنها تضع فراخها، فقالوا: "أحمق من نعامة"⁽⁴⁰⁾ وقد وصفها الشعراء منذ الجاهلية ووصفوا الظليم ذكر النعام فيما وصفوه من الصحراء التي تجمعهم واستثمروا كثيرًا من خواصها وصفاتها في أغراضهم الشعرية المختلفة، ونرى حضورها في شعر الهجاء عند شعراء الدعوة الإسلامية، فقد قال كعب بن مالك يهجو المشركين ويعيرهم بخسارتهم في يوم بدر، يوم انتصار المسلمين عليهم بقيادة نبيهم محمد- صلى الله عليه وسلم-:⁽⁴¹⁾

وَبِئْسَ بَدْرٌ إِذْ يُرْدُّ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَائِهِمْ قِسْمَيْنِ: يَقْتُلُ مَنْ نَشَاءُ وَيَطْرُدُ
فَأَتَاكَ قُلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ وَالْخَيْلُ تُنْفِئُهُمْ نَعَامٌ شُرْدُ

فقد شبه كعب هروب المشركين وفرارهم من أرض المعركة وهم منهزمون والخيول تطردهم وتلاحقهم، بالنعام الشارد في الصحراء، وهذه صورة معروفة عن النعام، فإنه لا يرى إلا شاردًا فزعًا، ف"قالوا: الوحش في الفلوات ما لم تعرف الإنسان ولم تره ولا تفر منه إذا رأته خلا النعام فإنه شارد أبدًا"⁽⁴²⁾ وضرب العرب المثل بالنعامة في الشرود والنفار فقالوا: "أشرد من نعامة" و"أنفر من نعامة"⁽⁴³⁾

وقد وضَّح كعب تخاذل المشركين وخوفهم وهروبهم من خلال هذا التشبيه التمثيلي الذي أعطى الصورة حيوية وحركة؛ فشبه صورتهم وهم هاربون والخيول تلاحقهم بصورة النعام المشرود النافر، وهي صورة استقاها الشاعر من البيئة حوله فجاءت الصورة واقعية معبرة، أضف إلى ذلك أن الشاعر خص (سرائهم) بالذكر؛ فالهزيمة لم تقتصر على صغارهم وإنما طالت أسيادهم وزعماءهم، وكان كعب قد مهد لهذه النتيجة في البيت الأول فالمسلمون مؤيدون بنصر الله؛ فالنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- معهم والملائكة كذلك تشاركهم وتساندهم. وهذا توظيف في مكانه المناسب استطاع كعب من خلاله أن يدل على ضعفهم وخسارتهم وتخاذلهم.

4- الضبع:

الضبع من الحيوانات التي عرفها العرب حق المعرفة، فقد كانت حاضرة في بيئتهم الصحراوية، فعرفوا صفاتها وطباعها وأنها حيوان ليلي مفترس، يصدر أصواتاً مرعبة في ظلام الليل، وقد تحدثوا عنها في قصصهم ونسجوا الأساطير حولها، حتى غدت جزءاً من ثقافتهم الشعبية والأدبية، فضربوا الأمثال بها، فكانت رمزاً للغدر ونكران الجميل، فكثرت أم عامر نسبة لرجل غدرت به،⁽⁴⁴⁾ كما عرفت إلى جانب غدرها بكثرة فسادها، فقالت العرب: أفسد من الضبع؛ "لأنها إذا وقعت في الغنم أكثر الفساد؛ ولذلك قيل للسنة المجذبة الضبع يُقال أكلتنا الضبع"⁽⁴⁵⁾ وهي مشهورة بحمقها أيضاً، فقالت العرب: "أحمق من الضبع"⁽⁴⁶⁾ ومن صفاتها الفيزيولوجية المعروفة أنها خلقت عرجاء، فالعرج خلقه فيها فأرجلها الأمامية أطول من الخلفية، ويطلق عليها العرجاء، يقول الجاحظ: "وأجناس الحيوان التي لا تستطيع أن تسمح بالمشي ضروب: منها الضبع، لأنها خلقت عرجاء، فهي أبداً تخمع"⁽⁴⁷⁾

وقد وظّف كعب بن مالك الضبع وصفة العرج التي تميزها في هجاء المشركين والرد عليهم، فقال مجيباً ابن العاص وضرار بن الخطاب يوم أحد:⁽⁴⁸⁾

أَبْلَغُ فَرِيْسًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتِكُمْ أَهْلَ اللَّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاخُ لَهُ عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَذَمٌ رَعَابِيلُ⁽⁴⁹⁾

فقد وظف الشاعر الضبع في هجاء مشركي قريش، لتهديدهم ووعيدهم، مذكراً إياهم بانتصاراتهم السابقة عليهم، ومؤكداً لهم أنهم قد هينوا لهم قتلاً شديداً مرعباً، حتى إن لحومهم ستصير طعمة للضباع العرج، التي ستهتز فرحاً وسروراً في ذلك اليوم.

إنَّ الشاعر يسعى لبث الرعب والذعر في نفوسهم، وهم يتخيلون أنهم أصبحوا طعاماً لوحوش الصحراء، والضباع منها خاصة لأنها مشهورة بأكل الجيف وبقوة فكها، ووصفها بأنها عرجاء ليريههم ضعفهم آنذاك أمامها، وهي الحيوان الأعرج الذي يرمز للجبن والغدر، وهم لا يستطيعون درأها عنهم وقد أصبحوا جيئاً ميتة وقطعا من اللحم جامدة هامة. فالشاعر في هذه الصورة يوظف صفات القوة والضعف في الصورة في آن معاً لإثارة رعب المشركين من جانب، وللدلالة على ضعفهم من جانب آخر. ونلاحظ أن الشاعر اعتمد في بناء صورته هذه في بداية الأبيات على

أسلوب الأمر مع النصيحة "أبلغ قريشاً وخير القول أصدق" ليضيف هذا الخطاب المباشر قوة في التعبير وصدقاً في القول وعزماً منه لهجائهم وفضح عيوبهم وإنجاز تهديده ووعيده.

5- حيوانات الصحراء الصغيرة:

لم تغب حيوانات الصحراء الصغيرة عن مشهد الهجاء العربي عامة وهجاء شعراء الدعوة خاصة، فقد استعانوا بها بوصفها رمزاً دالاً على الضلالة والضعف والخوف والجبن، فحياة هذه الحيوانات المنعزلة في الجحور وبين الصخور، وتجنبها المواجهة جعلت منها أدوات بلاغية تعبر عن صفات نفسية سلبية يسقطها الشاعر على المهجو، فيبرز من خلالها ضعفه ودنائه ومخازيه. فهذا كعب بن مالك يجيب أبا سفيان بن حرب ويهجو المشركين، وكان قد قال شعراً يحرض فيه قريشاً على المسلمين قبل غزوة السويق: (50)

جَاؤُوا بِجَمْعٍ لَوْ قِيسَ مَبْرُكُهُ مَا كَانَ إِلَّا كِمَفْحَصِ الدُّلَى
عَارٍ مِنَ النُّصْرِ وَالْتِرَاءِ وَمِنْ أَبْطَالِ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ وَالْأَسَلِ

فقد استخف كعب بن مالك بجيش المشركين واستهزأ به موظفاً (الدُّلَى) وهو حيوان صحراوي شبيهه بابل عرس يحفر في التراب حفرة ويكمن فيها، فوصف كعب بن مالك جيش المشركين بأنه قليل العدد وضعيف الشأن فمهما حاولوا أن يظهره قوياً وله هيبة فإن ضخامته لا تعدو أن تكون مثل تلك الحفرة الصغيرة الضيقة التي يحفرها هذا الحيوان الصغير، فهم بعيدون عن أسباب النصر وليسوا أهلاً للبطولة والانتصار، وفي هذه الصورة الرمزية تهوين وتحقير من شأن المشركين وإظهار دنو قدرهم وتكذيب مزاعمهم بأنهم شجعان أقوياء، إنها صورة ساخرة تكسر ادعاءاتهم التي يتوارون خلفها، وتثير في المتلقي شعور الاحتقار تجاه المهجو منهم، وفي الوقت نفسه تبث الحماسة في المسلمين عند إشعارهم أن عدوهم ضعيف مهما كبر فهو جبان صغير. وفي شعر آخر لكعب بن مالك أيضاً في هجاء بني لحيان والشماتة بهم؛ لأنهم شاركوا في الغدر بخبيب وأصحابه رضي الله عنهم، وقد خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - في السنة السادسة لغزوهم طالباً بثأر أهل الرجيع منهم، يقول فيه: (51)

لَوْ أَنَّ بَنِي لَحْيَانَ كَانُوا تَنَازَلُوا لَقُوا عُصْبًا فِي دَارِهِمْ مَصْدَقِ
لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طُحُونٍ كَالْمَجَرَّةِ فَيَلْقَى
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وَبَارًا تَتَبَّعَتْ شُعَابَ حِجَازٍ غَيْرِ ذِي مُتَنَقَّقِ

فقد هجاهم بالجبن والضعف؛ وذلك لأنهم عندما جاء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه إليهم فروا وهربوا، فكانت الديار منهم خالية والمنازل خاوية، فتعلقوا بحبال الجبال وتفرقوا في العقاب والشعاب والرمال من الخوف؛ فشبههم كعب بـ (الوبار) هذا الحيوان الصغير الذي يشبه الهر، والذي عرف بالخوف الشديد والاختباء، ويرمز عند العرب إلى الضعف، فقد فروا مثله بين الجبال، لا يعرفون إلى أين، تخفوا في شعاب الحجاز الضيقة العسيرة المسلك؛ لأنهم ليسوا رجال حرب ومواجهة بل كانوا كالوبار يتبعون الطرق الوعرة في الجبال الضيقة خوفاً وجبناً، وقد أجاد الشاعر في استثمار صفات هذا الحيوان في هجائهم، فجاءت صورته حركية بصرية ترسم مشهدهم وهم يتسللون ويهربون في تلك الطرق باحثين عن النجاة في منعطفاتها، تماماً كما تفعل الحيوانات الجبلية الجبانة الضعيفة حين تشعر بالخطر. وهكذا أظهرهم كعب في صورة هزيلة ذليلة وضعيفة ومهينة. وهذه الصورة التي يراها كعب فهم حقاً عندما صورهم بهذا الحيوان الصغير فـ "الرمز والمرموز وجهان لشيء واحد، وكلاهما يعني الشاعر بنسبة متساوية"⁽⁵²⁾

وهذا التشبيه ليس ببعيد عن حسان بن ثابت، عندما هجاهم أيضاً للأمر نفسه، وشبههم بلؤمهم وجبنهم بالقنافذ التي تخشى نهارة فتختفي، وتظهر ليلاً فقط:⁽⁵³⁾

لو خَلِقَ اللُّؤْمُ إنساناً يَكَلِّمُهُمْ لكان خيرَ هذيلٍ حتَّى تأتيها
مثلُ القنَافِذِ تَخْزِي أنْ تَفاجِئَها شدَّ النَّهارِ ويُلقَى اللَّيْلَ ساريها

فحسان هنا يهجو هذيلًا (أراد بني لحيان) بلؤمها وجبنها، ويلجأ إلى أسلوب التشخيص ليسخر منهم فيتخيل اللؤم إنساناً لو تكلم لكان أشرف من أفضل رجال هذيل، فهم أدنى من اللؤم ذاته، ثم يوظف حيوانات الصحراء ليبين جبنهم إضافة إلى لؤمهم فيختار (القنفذ) وهو حيوان لا يواجه، بل يتقوقع على نفسه خوفاً، كما أنه يختبئ نهارةً ويظهر ليلاً، وهكذا قبيلة هذيل لا يتحركون إلا ليلاً، لأنهم لصوص وجبناء، وهكذا يطعن حسان هذيلاً فيما تدعيه من قوة وبطولة وشجاعة كاذبة، ويجعل منهم قنفاذ يفتقرون لأدنى درجات الشجاعة. وهذا التصوير يرمز إلى خستهم وضعفهم فيما فعلوه بخبيب وأصحابه وغدرهم بهم غدرًا بعيداً عن المواجهة وجهًا لوجه، ففقدوا بذلك صفات الرجولة والشجاعة الحقيقية.

6 - التيس:

التيس من الحيوانات الحاضرة في البيئة البدوية، وهو الذكر من الظباء والمعز والوعول. وأكثر ما يقال لذكر المعز، ومن أمثال العرب: "استتيس العنز" أي صارت كالتيس في جراتها وحركتها⁽⁵⁴⁾. وهو من الحيوانات التي ارتبط ذكرها عند العرب غالبًا بالذم؛⁽⁵⁵⁾ فقد وظفوا صفاته الفيزيولوجية في الهجاء، ومنها ضخامته، ورائحته النتنة، وعدم إداره الحليب، وشعره الكثيف، وقرناه الطويلان، وصياحه عند السفاد، ومن طباعه التي ذكرها أيضًا الحمق والعناد.

وهو من الحيوانات التي شهدت حضورًا في شعر حسان الهجائي خاصة، فقد قال حسان بن ثابت يهجو هذيلًا فيما صنعوا بخبيب بن عدي رضي الله عنه:⁽⁵⁶⁾

فَلَا وَاللَّهِ مَا تَدْرِي هَذِيلٌ أَصَافٍ مَاءٌ زَمَزَمَ أَمْ مَشُوبٌ
وَلَا لَهُمْ إِذَا اعْتَمَرُوا وَحَجَّوْا مِنَ الْحَجَرَيْنِ وَالْمُسْعَى نَصِيبُ
وَلَكِنَّ الرَّجِيعَ لَهُمْ مَحَلٌّ بِهِ اللَّؤْمُ الْمُبِينُ وَالْعُيُوبُ
كَأَنَّهُمْ لَدَى الْكَثَنَاتِ أَصْلًا تُيُوسُ بِالْحَجَّازِ لَهَا نَيْبُ
هُمْ غَرَّوْا بِذِمَّتِهِمْ خُبِيًّا فَبَيْسَ الْعَهْدِ عَهْدُهُمُ الْكَذُوبُ

فيبدأ حسان هجاءه بأسلوب القسم المصحوب مع النفي والاستفهام الإنكاري ليؤكد للمتلقي أن ما يقوله عنهم حقيقة لا كذب فيها، وأن ما فهم من صفات مذمومة أمر لا شك فيه، وأهمها أنهم أغبياء لا يميزون بين الماء الصافي والمكدر، أي لا يميزون بين الحق والباطل وبين الخير والشر. وغباؤهم هذا جعلهم يفقدون ما حظي به المسلمون من شرف كالعمرة والحج، وإنما اختاروا الغدر والدناءة. ثم يعتمد حسان أسلوب التشبيه ليوضح سوء فعلهم؛ فيوظف التيس في هجائه ليبين السمعة السيئة والعار الذي لحق بهم وكشف عن لؤمهم عندما فعلوا ما فعلوه بأصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- عندما غدروا بهم، إن ما فعلوه يدل على أنهم أشبه بالتيس، فهم أصلًا لا يشغلهم إلا شهوتهم، فكأنهم تيس تصيح عند السفاد، فلا رجولة فيهم ولا نجدة ولا عهد؛ فقد غدروا بخبيب بعد أن أعطوه الأمان فكان عهدهم كذبًا وخيانة.

فهذه الصورة التي صاغها حسان لهم تدلُّ على خستهم وجبنهم وفجورهم، وترمز لانحطاطهم الأخلاقي وأنهم لا يملكون من الرجولة إلا صوتًا كصوت التيس لا فائدة منه.

وفي موضع آخر أيضاً يوظف التيس في هجائهم من جانب مختلف، إذ يشبه خطيهم خاصة بالتيس، الذي يلقي منهم الاحترام والتقدير على الرغم من كونه تيساً لا يستحق الكلام والقيادة:⁽⁵⁷⁾

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَأْنٍ

وهي صورة مليئة بالسخرية ترمز إلى غبائهم وجهلهم وانقيادهم لمن لا يستحقون منهم. وفي شعر آخر لحسان في هجائه لبني عابد من آل مخزوم نجده يكرر مشهد التيس عند السفاد، فيقول:⁽⁵⁸⁾

سَأَلْتُ قَرِيضًا كُلَّهَا فَشَرَّارُهَا بَنُو عَابِدٍ شَاةَ الْوُجُوهِ لِعَابِدٍ

إِذَا قَعَدُوا وَسَطَ النَّدَى تَجَاوَبُوا تَجَاوَبَ عِدَانِ الرِّبِيعِ السَّوَابِدِ

فقد شبه أصواتهم العالية وتحاورهم عند اجتماعهم في أنديةهم بصياح (العنثود) وهو الجدي إذا بلغ السفاد، وخصَّها بفصل التزاوج وهي تتصارع على الإناث فيكون اختلافها وصياحها أكثر شدة، وهي صورة بصرية حركية سمعية ترمز إلى الفوضى التي تعمُّ نادي القبيلة إذ تتداخل أصواتهم وتعلو صيحاتهم معاً فيما لا فائدة فيه، فلا ترى منهم ما يجب رؤيته في الرجال عند اجتماعها في المجالس من هدوء ونظام وإنما يتجادلون وتصدر منهم تلك الأصوات العالية التي تشبه أصوات التيوس الهائجة في فصل التزاوج. وهي صورة تهكمية ساخرة تكشف عن صورتهم الحقيقية، فهم ليسوا إلا تيوساً تعادي بعضها من أجل الشهوات. وقد أسهمت الأساليب التي اعتمدها حسان في إعطاء صورة شاملة لهم دون استثناء أحد منهم، ومن تلك الأساليب التوكيد في قوله: "سألت قريشاً كلها" فكلها يفيد في شمولية الحكم لهم جميعاً. وكذلك الدعاء: "شاه الوجوه لعابد" دعاء على القوم كلهم؛ لأنهم جميعاً رمز للفساد والخسة.

7- الثعلب:

عرف العرب الثعلب وطباعه الماكرة، فكان عندهم رمزاً للدهاء والمكر والخداع والاحتتيال؛ حتى قالوا في أمثالهم: "أروغ من ثعلب"⁽⁵⁹⁾ و"أدهى من ثعلب"⁽⁶⁰⁾ وقد أفاد حسان من صفاته هذه عندما رأى صَيْفِي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، وقد وقع أسيراً في يد المسلمين يوم بدر، وتركه أصدقائه دون فداء، فلمَّا لم يأت أحدٌ في فدائه أخذوا عليه لبيعته إلهم بفدائه، فخلَّوْا سبيلَهُ، فلم يَفِ لهم بشيء، وحنت بوعده، فقال حسان في ذلك:⁽⁶¹⁾

وَمَا كَانَ صَيْفِي لِيُوفِي دِمَةً قَفَا تُغْلَبُ أَعْيَا بِيَعُضِ الْمَوَارِدِ

فوظف حسان الثعلب في هجاء صيفي لأنه الحيوان المناسب للفعل الذي قام به، فقد غدر بوعده ومكر بهم، فهو كالثعلب المحتال الذي يهز ذيله، فمن خصائص الثعلب أنه يحرك ذيله عند الاحتيال، وجاء في المثل: "إِنَّمَا فَلَانُ ذَنْبُ الثَّعْلَبِ؛ يَزْعُمُ الصَّيَادُونَ أَنَّ رَوَاغَ الثَّعْلَبِ بِذَنْبِهِ يَمِيلُهُ فَيَتَّبِعُ الْكَلَابُ ذَنْبَهُ يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ الْمَرَاوِغَ"⁽⁶²⁾ ولكن حسان يتابع رسم الصورة ليوضح أن هذا الثعلب على الرغم من دهائه ومكره لكن الموقف الشديد الذي وقع به أعياءه وأتعبه، وكشفه وفصحته فلم يستطع الوفاء بوعده وانكشف خداعه في المواقف الصعبة.

فهذه الصورة التي رسمها حسان لصيفي تلحق به الذل والعار أمام القوم، وتبين ضعفه وقلة حيلته فيما تعرض له من أسر وإذلال على يد المسلمين، وتخلي قومه عنه دون أن يجد من يساعده ويفك أسره، حتى لجأ إلى الحيلة والمكر لينجو من الأسر.

ونجد حسناً يوظف الثعلب في هجاء بني ثقيف أيضاً، فيقول:⁽⁶³⁾

ثَقِيفٌ شَرٌّ مِنْ رَكَبِ الْمُطَايَا وَأَشْبَاهُ الْهَجَارِسِ فِي الْقِتَالِ

فقد شبه حسان مكر بني ثقيف في القتال ومراوغتهم في القتل للهروب من المواجهة بالهجرس وهو ولد الثعلب، فهو أكثر حركة ومراوغة من الكبار، وهذا ليدل على جنهم فيلجؤون إلى الحيلة والمراوغة هرباً من القتال. وهي صورة ترمز إلى ضعفهم وخبيثهم في آن معاً.

8- القرد:

القرد حيوان مشهور عند العرب بمجموعة من الصفات منها السخف وقبح الصورة، ولكنه مليح قال الدميري عنه: "قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنعة"⁽⁶⁴⁾ ووصف أيضاً بالسماجة، قال الثعالبي: "فإن القرد سمج الوجه قبيح في كل شيء وكفاك به جري المثل المضروب به ولكنه من وجه آخر مليح"⁽⁶⁵⁾ والقرد موصوف بالقلة والذلة، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة، 65).⁽⁶⁶⁾ كما ضرب به المثل في الجبن، ف قيل: "أَجْبَنُ مِنَ الرَّبَّاحِ"⁽⁶⁷⁾ كما أنه معروف بالفحش والفجور، فقد قيل "أزنى من قرد"⁽⁶⁸⁾

وقد عرف العرب القردة عن قرب وخبروا صفاتها فكانت تنتشر في أرجاء شبه الجزيرة العربية، ولاسيما في بلاد اليمن،⁽⁶⁹⁾ وهي أكثر الحيوانات شبيهاً بالبشر في صورتها وشكلها، وقد أفاد حسان

من هذه الصفات في هجاء أحد بني سَهْمٍ بن عَمْرِو ممن كانوا يؤذون النبي ويستهزؤون بالمسلمين، فقال: (70)

والله ما في قريش كَلِّها نَفَرٌ أَكْثَرُ شَيْخًا جَبَانًا فَاحِشًا غُمُرًا
أَزْبَ أَصْلَعُ سِفْسِيرًا لَهُ ذَأْبٌ كَالْقِرْدِ يَعْجُمُ وَسُطَ الْمَجْلِسِ الْحُمْرًا (71)

فقد رمى حسان مهجوه بمجموعة من الصفات والرموز الدلالية التي انتزعها من القرد وألصقها به، كالجبين والفحش وسلطنة اللسان والغباء والانقياد لغيره دون تفكير واستقلال في الرأي، حتى إنه في شكله يشبه القرد، فهو أصلع الرأس وله شعر كثيف يعلو أذنيه وحاجبيه، ويجلس بين الناس مشغولاً بالأكل وعلك الطعام وهذه الصورة التي رسمها حسان للمهجو للاستهزاء والسخرية به والحق من قدره أمام المجتمع والناس، وقد استخدم حسان أسلوب القسم والتوكيد ليعكس الجدية واليقين "والله ما في قريش كَلِّها" ويجذب انتباه السامع ويؤكد كلامه، وما زاد هذه الصورة قبلاً ليس فقط تشبيهه بالقرد بل التماذي والصلف الذي يتميز به وأنه يلوك الطعام "وسط المجلس" دون اكتراث واحترام للمجلس، فجاءت الصورة معبرة عن صفاته السيئة شكلاً ومضموناً.

ونجد القرد أيضاً في شعر لحسان في هجاء بني لحيان وقد سبق ذكرهم لغدرهم بخبيب رضي الله عنه، فيقول: (72)

إِنْ سَرَّكَ الْغُدْرُ صِرْفًا لَا مَزَاجَ لَهُ فَأَبِ الرَّجِيعِ فَسَلْ عَنْ دَارِ لَحْيَانٍ
قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبُ وَالْقِرْدُ وَالْإِنْسَانُ مِثْلَانِ

إنهم قوم فقدوا الصفات الإنسانية بغدرهم ولؤمهم، والخبت عندهم عادة متأصلة، حتى إنهم تواصلوا بينهم على ظلم الجار وانتهاك حقه؛ ولذلك فإنهم برأي حسان قد تساوا مع القردة والكلاب في السلوك السيء والخبت والدناءة والأذى، ونزعوا من أنفسهم الصفات الإنسانية.

إن هجاء حسان هنا قائم على الرمز، وهو يصور هؤلاء القوم وقد انحدروا في أخلاقهم حتى تساوا مع هذه الحيوانات في طبيعتهم العدوانية الخبيث، معتمداً في بناء الصورة على أسلوب الشرط (إن سَرَّكَ الغدر...) ليربط بين الغدر ونتيجته المتوقعة، إلى جانب أسلوب الأمر (فأت، فسل) ليشعر المتلقي بالاندفاع بنفسه للتأكد من الحقائق، كما توضح علاقة التضاد بين لفظتي (صِرْفًا لا مزاج) مع النفي أن الغدر لديهم ليس مجرد خطأ أو نقص بل صفة مطلقة ومتأصلة

فهم، إلى جانب التشبيه بهذه الحيوانات واستثمار ما فيها من صفات سيئة، فالتشبيه بالقرد عند العرب أمر يجزئ الذل والعار للمهجو، ومن أدلة ذلك ما ذكر عندما هجا حماد عجرد بشار بن برد بقوله:

ويا أقبح من قرد إذا ما عَمِيَ القردُ

فيقال إن بشار لم يجزع من شيء قطّ جزعه من هذا البيت.⁽⁷³⁾

وهذا يدل على قوة الرمز وأثره في العمل الفني فهذه الرموز ليست حلية يجمّل بها العمل أو يعمّق أو يعطي أبعاداً فقط بل هي المادة نفسها التي بدونها يصبح العمل الفني هيكلاً خرباً لا يوصل إلى شيء ولا يبقى له أثر.⁽⁷⁴⁾

9- الخنزير:

عرف العرب الخنزير وصفاته، وإن لم يكن يعيش في عموم الجزيرة العربية مثل الإبل والأغنام، لكنه كان في بعض المناطق التي يتوافر فيها الماء والمستنقعات والبيئة الزراعية وخاصة في أطراف الجزيرة العربية كبلاد الشام والعراق، وإن لم يره بعض العرب في صحرائهم لكنهم تعرفوا عليه في أسفارهم أو سمعوا عنه وعن صفاته وطباعه؛ ولذلك لا غرابة أن نجد ذكره في شعرهم. وقد ارتبطت صورته لديهم بالقبح والقذارة والدناءة وفساد الطبع، لما فيه من صفات سيئة؛ وقد ذكر الجاحظ بعضاً من مساوئه، فقال: "فلولا أنّ في الخنزير معنى متقدماً سوى المسخ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل، وقبح الصوت، وأكل العذرة، مع الخلاف الشديد واللواط المفرط والأخلاق السمجة، ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ"⁽⁷⁵⁾

ونجد ذكر الخنزير عند حسان بن ثابت من شعراء الدعوة، ويرجّح أن حسناً رآه في أثناء أسفاره إلى أصدقائه وممدوحيه الغساسنة في الشام أو في أسفاره إلى الحيرة، فوظّف ما رآه من صفات سيئة لهذا الحيوان في هجاء المشركين، فقال في هجاء بني عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم عامة، ورُقيع بن صيفي خاصة، وقد قتل الأخير يوم بدرٍ كافراً:⁽⁷⁶⁾

فإن تصلح فإنّك عابديّ وصلح العابديّ إلى فسّادٍ

وإن تفسد فما ألفت إلّا بعيداً ما علمت من السّدادِ

فقيم تقول يشتمني لثيم كخنزير تمرّغ في رماذٍ

فقبح عابد وبني أبيه فإنّ معادهم شرُّ المعادِ

فقد وظف حسان الخزير وصفاته غير المرغوبة وغير المستحبة عند العرب من قبح منظره ووساخته ودنائه في هجاء هذا العابدي، معتمداً أسلوب الاستفهام الإنكاري والتشبيه؛ فكيف يشتمه هذا اللئيم الذي يشبه الخزير المتمرغ في التراب، المتقلب في القذارة! فيزيد بذلك قبحاً فوق قبح لؤمه، إنها صورة قوية ومنفرة منه تدعو إلى احتقاره وترمز إلى دنائه وضعته، ومجيء البيت في إطار الاستفهام الإنكاري يفيد في زيادة التعجب وفي رسم الصورة القبيحة للمهجو. وقال البغدادي معلقاً على البيت: "تعريضٌ بقبحه أو كفره فلذلك خصَّ الخزيرَ لِأَنَّهُ مسخٌّ قبيح المنظر سمج الخلق أكال العذرة. وقوله: تمرغ في رماد تميمٍ لذهمه لِأَنَّهُ يدلُّك نفسه بالشجر ثم يأتي للطين والحماة فيتلطخ بهما وكلما تساقط منه شيء عاد فمهما فيكون في أقبح منظر"⁽⁷⁷⁾ فلهذه الأسباب مجتمعة جاء التوظيف في مكانه الذي أراده الشاعر مسهماً في رسم صورة قبيحة منفرة للمهجو.

7- نتائج البحث:

- أكد البحث أن شعراء الدعوة الإسلامية استثمروا الحيوان وصفاته وخصائصه الفيزيولوجية والسلوكية ودلالته الرمزية في هجائهم للمشركون وأحلافهم، فكان أداة فعالة للتعبير عن المعنى المراد وإيصال الرسائل البلاغية والنفسية للمستمعين.
- إن توظيف الحيوانات في موضوع الهجاء عند شعراء الدعوة الإسلامية، يعكس وعي الشاعر العربي ببيئته الطبيعية والاجتماعية وقدرته على تحويل مظاهرها الطبيعية إلى رموز فنية في بناء الصورة الهجائية، ومنحها بعداً نفسياً واجتماعياً يتجاوز الوصف السطحي لها إلى التعبير عن الموقف الشعوري والتهكمي بأن معاً ما يعكس براعة الشاعر في استخدام البيئة المحيطة كأداة فنية تعزز من قوة المعنى وتأثيره على المتلقي.
- أظهرت الدراسة تفاوتاً ملحوظاً بين شعراء الدعوة الإسلامية في حضور الحيوان في شعر الهجاء من حيث الكم والنوع؛ فقد كان حسان الأكثر ولعاً بتوظيف الحيوانات، إذ ظهر في شعره الإبل والخيول والطير والقرد والتيس والكلب والثعلب والخزير وغيرها، ما يعكس ثراء مخزونه الرمزي ومرونته الفنية وتمرسه في هذا المجال منذ الجاهلية. أما كعب بن مالك فتميز بظهور الإبل والخيول بقوة، ثم الطير والضبع، ما يعكس اختياراً متعمداً لتلك الحيوانات لما تحمله من دلالات هجائية محددة يرمي إليها. وأما عبد الله بن رواحة فكان أقل استخداماً للصورة الحيوانية، ويرجع ذلك إلى قصر حياته في الإسلام وطبيعة شعره المختلفة في الهجاء عن حسان

وكعب، وهذا التفاوت يشير إلى اختلاف إستراتيجيات كل شاعر في توظيف الرموز الطبيعية بحسب شخصيته وأهدافه الفنية.

- تنوعت الأساليب اللغوية عند شعراء الدعوة الإسلامية في توظيف الحيوان لتعزيز الغرض الهجائي؛ وأبرزها: القسم، التأكيد، النفي، الاستفهام، الشرط، التخصيص والتعيين، وقد أسهمت تلك الأساليب في جلاء المعنى ودقته وتمكين الشعراء من إيصال رسالتهم الهجائية، وفي بناء الانطباعات الشعورية لدى المتلقي بأسلوب مقنع ومؤثر.
- اعتمد الشعراء على أساليب فنية وبلاغية متعددة لتوظيف الحيوان في الهجاء؛ من أبرزها الاستخدام المكثف للصور الفنية، ولأسيما التشبيه والاستعارة، وأساليب السخرية والاستهزاء والتهكم، والمقارنة والموازنة، والتهديد والوعيد. وهذه الصور لم تكن مجرد زخرفة، بل وسيلة لتعميق المعنى وإضفاء أبعاد جديدة على الهجاء.
- لم تكن الصورة الحيوانية في الهجاء مجرد عنصر سردي، بل كانت أداة فنية مركزة قادرة على اختزال المعاني السلبية والدلالات الرمزية التي يريد الشاعر إيصالها، ما يجعل الصورة الهجائية أكثر قوة وفاعلية وتأثيرًا.
- توظيف الحيوان في الهجاء كان أداة دفاعية ودعوية لشعراء الدعوة، تهدف إلى دعم موقف النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- ورفع معنويات المسلمين، وكشف ضعف المشركين وأحلافهم، وتعزيز الانتماء للإسلام مكان الانتماء القبلي، والتحول من الهجاء القبلي التقليدي إلى هجاء عقيدي ودعوي.

الهوامش:

- (1) - ينظر الأسود الغندجاني، الحسن بن أحمد، تحقيق د. محمد علي سلطاني، ط1، دار العصماء، دمشق، 2007م، ص 15.
- (2) - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 76/1.
- (3) - ينظر علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقى، بيروت، 2001م، 16/13.
- (4) - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 314/2.
- (5) - الذهبي، عدنان، في سيكولوجية الرمزية، مجله علم النفس، المجلد 5، العدد 2، 1949م، ص 256.
- (6) - الزبيدي، عمرو، شعر عمرو بن معديكرب، جمع وتنسيق مطاع الطرايشي، ط2، مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 72. 1985م، والبغدادى، عبد القادر، خزنة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997م، 2/436.

- (7) - الأفوه الأودي، صلاة بن عمرو، ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق محمد التونجي، ط1، دار صادر، بيروت. 1998م، ص60.
- (8) - الأسدي، بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، شرح مجيد طراد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت. 1994م، ص63.
- والضبي، المفضل بن محمد، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط6، دار المعارف، القاهرة. د.ت، ص342.
- (9) - الشَّطِئِي: التَّفَرُّقُ يُقَالُ: شَطِئَ الْفَرَسُ، إِذَا تَفَرَّقَ عَصْبُهُ. العسكري، الحسن بن عبد الله، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تحقيق عزّة حسن، ط2، دار طلاس، دمشق. 1996، ص414. واليُعَاذُ: صَوْتُ الْغَنَمِ، أَوْ الْمَرْزَى، أَوْ الشَّدِيدِ مِنْ أَصْوَاتِ الشَّاءِ. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ط1، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت. 2001م، (يعر).
- (10) - الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، مصر. د.ت، ص131.
- (11) - الإزون: جمع إرة، وهي الحفرة فيها النار. تحسحس: تحرك.
- (12) - البكري، طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصفال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت. 2002م، ص108.
- (13) - جمعة، حسين، مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 49، أكتوبر. 1992.
- (14) - الزهري، محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، مصر. 2001م، 4/324.
- (15) - الزهري، محمد بن سعد، المصدر السابق، 4/324.
- (16) - النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر. 1955م، 1935/4.
- (17) - النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المصدر السابق، 1935/4.
- (18) - القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط1، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت. 1970م، ص98.
- (19) - الجندي، علي، في تاريخ الأدب الجاهلي، ط2، مكتبة الجامعة العربية، بيروت. 1966، ص84.
- (20) - ابن رواحة، عبد الله، ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق وليد قصاب، ط1، دار العلوم، السعودية. 1981، ص131.
- (21) - ابن ثابت، حسان، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة الرحمانية، مصر. 1929م، ص303.
- 407، 159، 69، 77، 5، 303، 424، 56، 417، 152، 152، 341، 224، 416، 143.
- (22) - أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة. 1948م، ص330.
- (23) - ابن مالك، كعب، ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق مجيد طراد، ط1، دار صادر، بيروت. 1997م، ص84. وابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. 1955م، 2/147.
- (24) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص407.
- (25) - ابن ثابت، حسان، المصدر السابق، ص159.
- (26) - ابن مالك، كعب، ديوانه، ص37.
- (27) - القيسي، نوري حمودي، الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص107.
- (28) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص69.
- (29) - الجلاء: ما استقبلك من حروف الوادي، الواحدة: جَلَهة، وخضراء: أي سوداء لما يعلوها من الحديد.
- (30) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص77.
- (31) - ابن مالك، كعب، ديوانه، ص21.
- (32) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص5.
- (33) - ابن رواحة، عبد الله، ديوانه، ص149.
- (34) - البطل، علي، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ط2، دار الأندلس، لبنان. 1981م، ص154.
- (35) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص303.

- (36) - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1414هـ، (حجل).
- (37) - الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت. 1424هـ، 2/330.
- (38) - ابن رواحة، عبد الله، ديوانه، ص133.
- (39) - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت. 2002م، 4/456.
- (40) - الجاحظ، عمرو بن بحر، المصدر السابق، 1/130.
- (41) - ابن مالك، كعب، ديوانه، ص38.
- (42) - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، تحقيق منذر محمد سعيد أبو شعر، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت. 2008م، 2/111.
- (43) - العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت. 1988م، 2/298.
- (44) - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الجرائيم، تحقيق محمد جاسم الحميدي، وزارة الثقافة، دمشق. 1997م، 2/279.
- (45) - العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، 2/104.
- (46) - الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان. 1955م، 1/225.
- (47) - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، 5/117.
- (48) - ابن مالك، كعب، ديوانه، ص84.
- (49) - الخدم: قطع اللحم، والرعايل: المتقطعة.
- (50) - ابن مالك، كعب، ديوانه، ص90. والطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر. 1967م، 2/485.
- (51) - ابن مالك، كعب، ديوانه، ص75.
- (52) - أحمد، محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص140.
- (53) - ابن ثابت، حسان، ص424.
- (54) - ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت. 1987م، 1/399.
- (55) - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، 2/331.
- (56) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص56. والسهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 2000م، 6/141.
- (57) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص417.
- (58) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص152.
- (59) - ابن رفاع، زيد بن عبد الله، الأمثال، ط1، دار سعد الدين، دمشق. 1423هـ، 1/15.
- (60) - اليوسي، الحسن (1981) زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، لبنان. 1981، 2/24.
- (61) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص152. وابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، 1/66.
- (62) - الرمخشري، محمود بن عمر، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت. 1987م، 1/419.
- (63) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص341.
- (64) - الدميري، محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، 1/324.
- (65) - الثعالبي، عبد الملك، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، المكتبة العصرية، بيروت. 2003م، ص328.
- (66) - ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر. د.ت، 2/160.

- (67) - الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، 1/185.
- (68) - العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، 1/502.
- (69) - النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، دار الكتب المصرية، مصر، 1933م، 6/336.
- (70) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، 224. والصغاني، الحسن بن محمد، التكملة والذيل والصلة، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، ط1، دار الكتب، مصر، 1971م، 2/480.
- (71) - الغمري بإسكان الميم من لم يجرب الأمور ومن لا رأي له، وحركة الميم للضرورة، الأثر: الكثير شعر الأذنين والحاجبين. والسفسير: كلمة فارسية الأصل، من معانيها: السمسار وال خادم. الذأب: السلطة والفحش في اللسان. يعجم: يعلك. الحمى: التمر الهندي.
- (72) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص416.
- (73) - الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي، مصر، 1988م، 1/30.
- (74) - تشادويك، تشارلز، الرمزية، ترجمة نسيم إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص18.
- (75) - الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، 4/280.
- (76) - ابن ثابت، حسان، ديوانه، ص143.
- (77) - البغدادي، عبد القادر، خزانة الأدب، 103/6.

Mechanisms of Employing Animals and Their Symbolic Significance in Satire among the Poets of the Islamic Call in Early Islam

Abstract

This research examines a notable phenomenon that emerged among the poets of the Islamic call (al-da'wah) in early Islam, namely the employment of animals in satirical poetry during their verbal battles against the polytheists and their allies. This is a significant phenomenon that warrants study and analysis, as certain animals carried symbolic dimensions and specific connotations that reflect the poet's view of his opponents, mirror the psychological and social dimensions of poetic discourse, and reveal the poet's skill in utilizing animal imagery and drawing upon the Arab environment and its cultural heritage to construct a vivid and expressive satirical image. The research adopted a descriptive approach in tracing and collecting these images, and the analytical approach in studying their symbolic significance. It also benefited from the stylistic approach to uncover the artistic and linguistic mechanisms by which they were constructed, and to demonstrate their impact on reinforcing the satirical structure of the text. The study showed that the poets of the Islamic call employed numerous stylistic mechanisms to enhance the power and impact of satire through animal symbolism and its diverse connotations, such as oath/swearing, negation, emphasis, conditionals, and interrogatives. These devices were integrated with poetic rhetorical devices, such as sarcasm, mockery, irony, threat and intimidation, simile, and metaphor, which enabled the poets to convey their satirical message and build emotional impressions in the recipient through a persuasive and impactful style.

Keywords: Employment, Satire/Hija', Symbolic Significance, Poets of the Islamic Call, Early Islam.